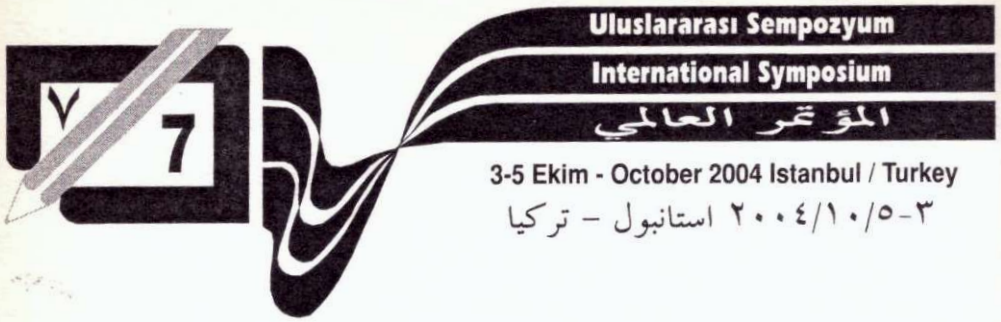

Uluslararası Sempozyum
International Symposium
المؤتمر العالمي

٧ 7

3-5 Ekim - October 2004 Istanbul / Turkey
٣-٥/١٠/٢٠٠٤ استانبول - تركيا

المؤتمر العالمي السابع
لبديع الزمان سعيد النورسي

ممارسة حياة ايمانية فاعلة

في سلام ووئام في عالم متعدد الثقافات
من خلال رسائل النور

الطبعة الأولى

١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م

Ekim 2004

الترقيم الدولى

ISBN: 975-269-043-2

شركة نسل للطبع والنشر والتوزيع

الحوار الإسلامي المسيحي في منظور النورسي

أ.د. جورج غريغوري
جامعة بوخارست – رومانيا

إن كنت مؤمنا فأنت – انطلاقاً من
هذا الإيمان – أخ لنا مهما كنت."
سعيد النورسي

أصبح الحوار – في أيامنا هذه أكثر من أي وقت مضى- من القضايا والمواضيع الهامة لكل المشاكل العالقة أو الخافتة ، سواء على الصعيد الداخلي في مجتمع واحد، أو على الصعيد الخارجي، في العلاقات القائمة بين مختلف الحضارات والثقافات. فالحوار يظل مطلباً لا غني عنه للإنسانية جمعاء، إذا ما أرادت أن تعيش بمنأى عن الخلافات والمتوجسات والصراعات، كما أن الحوار هو المنهج الصحيح للتوصل إلى التعارف الضروري للتفاهم والتعايش السلمي والتعاون بين الأمم والشعوب .

هذا ويتركز بحثي هذا على الأهمية التي تعود إلى حوار متميز النوع وهو الحوار المفروض القيام به بين أتباع الديانتين المهمتين في هذا العالم – الديانة الإسلامية والديانة المسيحية – لأجل بناء عالم تسود فيه المحبة المتبادلة والتعاون واحترام حقوق الغير، لإنقاذ التعددية الحضارية والاحتفاظ بها وهذا يضمن حرية الإنسان الحضارية والثقافية والدينية في هذا العالم: هذه هي العناصر التي يبني بديع الزمان سعيد النورسي أفكاره القيمة عليها والتي يعرضها في عمله العظيم "رسائل النور".

إن أفكار سعيد النورسي – التي نستعرضها في هذا البحث الصغير – حول الحوار الذي يمكن القيام به بين المجتمعات الإسلامية والمجتمعات المسيحية ما زالت تحتفظ بحداثتها بغض النظر عن مرور سنوات عديدة على إطلاقها. فمن الضروري أن يكون هذا الحوار مجديا وصادقا من كل الأطراف المعنية، لأنه من الواضح أن الحوار هو الوسيلة الوحيدة التي تحقق التعايش السلمي للأمم والحضارات وتقضى على تلك الفكرة المخيفة عن "تصادم الحضارات" المتداولة في مختلف الأوساط حاليا.

هذا وقد توقفت عند وجهة النظر التي عبّر النورسي عنها منذ مطلع هذا القرن لأنها يمكن العمل بها حاليا أكثر من أي وقت مضى وهي تمثل كذلك نقطة مهمة للانطلاق في الحوار ما بين أتباع الديانتين.

هذا والكثير من المراجع التي درستها لكتابة هذا البحث، تتفق على أن عمر الحوار الإسلامي المسيحي – وبالذات مع الفاتيكان– يزيد على 40 سنة، أو بالأحرى يأخذ محرروها تاريخ انعقاد المجمع الكنائسي الثاني للفاتيكان كبداية له. في الحقيقة هذا القرار للحوار الديني الصادر عن الفاتيكان سبقته مبادرات مجدية وصادقة أخرى – من طرف أو من آخر. ففي هذه المبادرات المحمودة تندرج تلك التي عبر سعيد النورسي عنها نظريا في كتاباته وتطبيقيا في مواقفه المتخذة من قضايا عصره.

الحوار بين الأديان ليس وسيلة للتبشير أو للدعاية الدينية أو إجبار الغير على اعتناق دين معين – وهذا ما يخافه كل الناس الذين يرفضون الحوار الديني – بل هو مناسبة للإصغاء إلى الغير وفهم القيم الروحية التي تكوّن القالب الذي يؤدي حياته فيه كما جاء في الوثيقة المسماة بـــ "الرسالة الكنائسية" الصادرة عن الفاتيكان بتأريخ 1964/8/6 والموقّع عليها من قبل البابا بولص السادس.

ومن الضروري أن أشير هنا إلى أن الحوار الذي يجري بين المسيحيين والمسلمين – والمبلور في النصف الثاني من القرن الذي انصرم، هو حوار بين ناس يتبعون المسيحية ويؤمنون بها وبين ناس يتبعون الإسلام ويؤمنون به وليس بالنقاش أو المساومة والجدال حول عقيدة أو أخرى وإعطاء أفضلية هذه على تلك.

فكل دين – أيا كان – هو نظام مسلمات مطلقة – كما ورد في عديد من الأعمال اللاهوتية – لدى أصحابها وهي غير قابلة للنقاش أو للمساومة مع أتباع دين آخر. ولو خطر في بال مؤمن أن دينه لا يمثل الحقيقة المطلقة لتركها منكرا تعاليمه معتنقا دينا آخر يستجيب آماله للخلاص! وهذه المسلمات خارج دائرة الحوار أصلا وابتداء وبصورة كاملة. فلحل هذه المشكلة التي تعوق الحوار، يوصي النورسي بـــ"اتخاذ دستور الإنصاف دليلا ومرشدا، وهو أن صاحب كل مسلكٍ حقٍ يستطيع القول: " إن مسلكي حق وهو أفضل وأجمل" من دون أن يتدخل في أمر مسالك الآخرين، لكن لا يجوز له أن يقول: "الحق هو مسلكي فحسب أو أن الحسن والجمال في مسلكي وحده " الذي يقضى على بطلان المسالك الأخرى وفسادها"[1]. أو بكلمة أخرى، لا لوم على الإنسان إذا افتخر بقيمه الروحانية التي يؤمن بها وتقوده في هذه الدنيا وهي غير قابلة للنقاش، ولكن الأمر يختلف إذا تعدى على الآخرين بسبب معتقداتهم بدلا من الإنصات إليهم ومحاولة فهمهم واحترامهم . هذه الفقرة بالذات، التي ذكرتها أعلاه – في رأي أنا – تمثل أحسن قاعدة يمكن بناء الحوار عليها.

وضمن الحوار الديني، عندما يتناول النقاش بعض تعاليم الدينين فإنه يتناولها باعتبارها قواعد للحياة تنظمها إن كانت تتصل بالحلال والحرام، أو تهدي الناس إلى حسن السلوك فيها إن كانت تتعلق بالأحسن والأفضل، أو تحضهم على الخير وتنهاهم عن الشر.

والخروج عن هذا الأصل يفسد الحوار ولا يجعل له ثمرة صالحة ولا يحدث ذلك من طرف المتدينين المؤمنين أبدا، بل قد يقع من طرف بعض المنكرين للأديان، لكنهم في النهاية لا يمثلون أهل الإيمان ولا يملكون التحدث باسم المؤمنين.

والجدير بالذكر أن سعيد النورسي عبر عن هذه الأفكار قبل أن تتبلور فكرة الحوار ما بين الأديان في الفاتيكان وقد أعطى تعريفا لهذا النوع من الحوار مؤكدا على عدم إكراه الغير على دخوله في دين آخر، بل الشيء الوحيد المطلوب منه هو الاستماع وإكمال معلوماته الدينية وفي نهاية المطاف تبقى عليه حرية الاختيار:

ففي تفسيره للآية الكريمة (**من قبل**):

" إن فيه إشارةً إلى تشويق أهل الكتاب على الإيمان وتأنيسهم والتسهيل عليهم, كأنه يقول: "لا تشقنّ عليكم الدخول في هذا السلك، إذ لا تخرجون عن قشركم بالمرة بل إنما تكملون معتقداتكم، وتبنون على ما هو مؤسس لديكم"[2].

القرآن – في رأيه – بكونه الكتاب المقدس للإسلام وهو دين من الأديان السماوية أو الإبراهيمية الثلاثة (وهي ما عدا الإسلام الذي ذكرته، المقصود بها اليهودية والمسيحية أيضا) يأتي كتتويج على كل ما سبق تنـــزيله فبالتالي هو جوهر كل المحاسن للكتب التي سبقته:

"إذ القرآن معدّل ومكمّل في الأصول والعقائد، وجامع لجميع محاسن الكتب السابقة وأصول الشرائع السالفة. إلا أنه مؤسس في التفرعات التي تتحول بتأثير تغير الزمان والمكان"[3].

فيخاطب القرآن الكريم أتباع الأديان الإبراهيمية الثلاثة قائلاً: " قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّىَ تُقِيمُواْ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنـــزلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ " (المائدة، 68). وبالإضافة لما سبق فإن القرآن جعل ثاني أكبر سور القرآن بعنوان "آل عمران" – أي والد مريم وأسرته – وذلك في جو من التقديس والتبجيل، وعنوان سورة أخرى باسم "مريم" الصدّيقة الطاهرة، في جو من التكريم والاحترام.

هذه الوحدة التي تشمل كل الأديان السماوية كما يتبين من العديد من الآيات القرآنية تعتبر قاعدة قوية لإجراء الحوار الذي ينوي المسلم أن يجريه مع اليهودي أو المسيحي آخذا بعين الاعتبار إيمانه – الذي يوصى به – بكل ما نـــزل إلى المرسلين الذين سبقوا النبي محمد:

" قُولُواْ آمَنَّا باللّه وَمَا أُنـــزلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنـــزلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ" (البقرة ، 136).

هذه النقاط المشتركة بين الديانتين الإسلامية والمسيحية هي التي تضمن إمكانية العمل المشترك بين المسلمين والمسيحيين ضد الإلحاد بناء على حقيقة مشتركة جوهرية بين الديانتين وهي التقاؤهما في الإيمان بحقائق أبدية، فلهذا العالم خالقٌ واحد لا يموت، و لم

يكن وجود هذا العالم صدفةً وعبثاً، وكذلك الإيمان بالغيب، كالقضاء والقدر، وبالبعث والحساب بعد الموت، وبالجنة جزاءً للمحسن، وبالنار جزاءً للمسيء.

ونظرا إلى نشاطات سعيد النورسي في مجال الحوار الإسلامي المسيحي، فمن الممكن وصف هذا الحوار بنوعين: الحوار الداخلي والحوار الخارجي. المقصود بالحوار الداخلي ذاك الحوار الذي يجري بين أبناء قطر واحد تربطهم نفس التراكيب الثقافية ونفس الأحداث التاريخية، أما الحوار الخارجي يجري بين أبناء حضارات شتى وأقطار تنتمي إلى ثقافات متنوعة.

فتطبيقا للحوار الداخلي الذي يستهدف – في منظور النورسي- التفاهم حول المواقف المشتركة لتشديد الإيمان في صفوف الناس بصرف النظر عن معتقداتهم الدينية. ففي هذا الصدد، في عام 1953، قام سعيد النورسي بزيارة للبطريرك أثيناغوراس في مقره الواقع في استانبول لإيجاد سبل تعاون بين مسلمي تركيا ومسيحييها لمواجهة الموجة الإلحادية المعدية التي بدأت تغزو تركيا كذلك.

أما في الحوار الخارجي، لإنشاء تعاون بين الأمم، بذل النورسي جهودا لإقامة علاقات ودية متينة مع المسيحيين في أوروبا وبهذا الخصوص بادر بإرسال مجموعة من أعماله إلى البابا بيوس الثاني عشر في الفاتيكان واستلم جواباً منه في 22/شباط/1951 فهذا كان ما قبل إعلان مجمع الفاتيكان الثاني باحترامه وتقديره للمسلمين والإسلام.

يعتبر سعيد النورسي أن المؤمنين – مسلمين كانوا أو مسيحيين، مسيحيين مؤمنين فعلا – يتوحدون أمام عدوهم المشترك وهو الإلحاد الذي ينتشر بسرعة في كافة المجتمعات المعاصرة مهما كان الدين السائد فيها أصلا. ففي الثلاثينات، بُعَيد خروج العالم من التجربة المؤلمة التي شهدها أثناء الحرب العالمية الأولى، يدعو النورسي كل المؤمنين أن يتحدوا، ليس مع المؤمنين المسلمين فحسب، بل مع المتدينين المسيحيين المتقين كذلك للقضاء على عدوهم المشترك وهو الإلحاد أو الزندقة:

"لقد ثبت في الحديث الصحيح أن المتدينين الحقيقيين من النصارى سيتفقون في آخر الزمان مستندين إلى أهل القرآن للوقوف معـــا تجاه عدوهم المشترك الزندقة، لذا فأهل الإيمان والحقيقة في زماننا هذا ليسوا بحاجة إلى الاتفاق الخالص فيما بينهم وحده، بل

مدعوون أيضا إلى الاتفاق حتى مع الروحانيين المتدينين الحقيقيين من النصارى، فيتركوا مؤقتا كل ما يثير الخلافات والمناقشات دفعا لعدوهم المشترك الملحد المتعدي" [4].

الملحد هو الذي ينكر أو يرفض فكرة وجود الله. فللإلحاد وجوه مختلفة ومتعددة مثل تلك المتمثلة في حركات مثل الطبيعية والأمثلية !! والشيوعية إلى آخره. بالاختصار، يمكن تعريف الإلحاد بوضع فكرة أو تصرف أو الحكمة أو الطبيعة نفسها أو البشرية (يعني الخلق) في مكان الخالق. مثل هذه الحركات أثرت على الدين المسيحي في أوروبا بحيث لا يمثل حاليا الإطار الروحي للمجتمعات الأوروبية وهي تتسرب إلى مجتمعات أخرى.

الإلحاد بأنواعه يؤدي إلى تباعد الناس الذين يصبحون عبادا للأشياء ويعاملون بعضهم البعض كأشياء. عكس الإلحاد هو الإيمان الذي يلح النورسي للحفاظ به في كل المجتمعات – الإسلامية وغير الإسلامية – وعليه يمكن إجراء حوار وبناء تعاون:

"الإيمان نور لوجدان البشر وشعاع من شمس الأزل يضيء دفعة ملكوتية الوجدان بتمامها. فينشر أُنسية له مع كل الكائنات.. ويؤسس مناسبة بين الوجدان وبين كل شيء.. "[5]. فهو يريد التعاون مع المؤمنين في أوروبا لإيقاف التدهور الروحاني الذي غزاها من كل الأطراف متناسية مسيحيتها والإيمان بها:

" فيا أوروبا التي نأتْ عن النصرانية وابتعدت عنها، وانغمست في السفاهة والضلالة! لقد أهديت بدهائك الأعور كالدجال لروح البشر حالة جهنمية، ثم أدركت أن هذه الحالة داءٌ عضال لا دواءَ له. إذ يهوى بالإنسان من ذروة أعلى عليين إلى درك أسفل سافلين، وإلى أدنى درجات الحيوان وحضيضها، ولا علاج لك أمام هذا الداء الوبيل إلا ملاهيك الجذابة التي تدفع إلى إبطال الحس وتخدير الشعور مؤقتا، وكمالياتك المزخرفة وأهواؤك المنوّمة... فتعساً لكِ ولدوائكِ الذي يكون هو القاضي عليك..." [6].

ومن هذا المنطلق ورغبة في التعاون بين كل المؤمنين، نظر النورسي بارتياح كبير إلى اتفاقية بغداد المتوصل إليها في عام 1955 والمشارك فيها كل من تركيا والعراق وإيران وباكستان وبريطانيا العظمى لأنها منحت للأتراك "أربعمائة مليون أخ" من المسلمين وكسّبتهم "صداقة ثمانمائة مليون نصراني" [7] لأن:

"في التعاون والاجتماع سرا عجيبا. لأنه إذا اجتمع حسنُ ثلاثة أشياء صار كخمسة، وخمسة كعشرة، وعشرة كأربعين بسر الانعكاس. إذ في كل شيء نوع من الانعكاس ودرجة من التمثيل. كما إذا جمعت بين مرآتين تتراءى فيهما مرايا كثيرة، أو نوّرتـــَها بالمصباح يزداد ضياء كل بانعكاس الأشعة؛ فكذلك اجتماع النكت والنقط. ومن هذا السر والحكمة ترى كل صاحب كمال وصاحب جمال يرى من نفسه ميلا فطريا إلى أن ينضم إلى مثيله ويأخذ بيد نظيره ليزداد حسنا إلى حسنه. حتى أن الحجر مع حجريته إذا خرج من يد المعقد البانى في السقف المحدب يميل ويُخضع رأسَه ليماس رأس أخيه ليتماسكا عن السقوط. فالإنسان الذي لا يدرك سر التعاون لهو أجمد من الحجر؛ إذ من الحجر من يتقوس لمعاونة أخيه" [8].

يعتبر النورسي في إحدى رسائله التي كتبها في أوائل القرن العشرين عندما كان التوتر الديني في أوجه في أسيا الصغرى (لما مات20% من أقوام الأناضول بين 1914-1923) في أن الجذور لكل نـــزاع ديني هو "الغرور والأنانية في النفس وتوهم المرء نفسه محقا ومخالفيه على باطل فيقع الاختلاف والمنافسة بدل الاتفاق والمحبة"[9]. فبالتالي حرية كل الفئات الدينية تمنح وتضمن حرية المجتمع بأجمعها: "حرية غير المسلمين جزء من حريتنا"[10].

فإن سعيد النورسي، هذا الإنسان المنفتح على الحوار والتفاهم مع الغير والمجرد من أي نوع من التعصب، حين ينظر في النـــزاعات ، يتساءل بتعجب ودهشة، كيف أن هذه الأديان التي هي في أصولها وينابيعها الصافية دعوة لإصلاح الإنسان، وتعاونه مع أخيه الإنسان، للوصول إلى السعادة الكاملة وللجميع، وقفت عاجزةً أمام خلافات رجالها عن ردع النـــزاعات المهلكة للبشرية، وكيف أن الإنسان يفقد إنسانيته:

"لما كان الإنسان – بمقتضى إنسانيته – يتألم بألم الآخرين، فلا يستطيع أن يتحمل ما يراه في هذا الطريق من ألم غير محدود، إذ الوجدان لا يطيق ألما إلى هذا الحد، لذا يضطر سالك هذا الطريق إلى أحد أمرين: إما أن يتجرد من إنسانيته، ويحمل قلبا قاسيا غارقا في منتهى الوحشة لا يتألم بهلاك الجميع طالما هو سالم معافىً، أو يبطل ما يقتضيه القلبُ والعقلُ"[11].

وتلخيصا لكل ما ورد أعلاه، يمكن القول إن حل كل النـــزاعات الدينية هو الحوار الناجع بين المؤمنين المنتمين إلى تلك الأديان، حوار – حسب منظور النورسي – مشيد على المعرفة الصحيحة لكل القيم الروحية الخاصة بالأطراف الراغبة في اجرائه وعلى احترام كل الناس بصرف النظر عن معتقداتهم، بشرط أن يكونوا مؤمنين حقيقيين. أفكاره هذه وحياته كلها تجعل النورسي من رواد الحوار الإسلامي المسيحي، فلا يمكن تحقيق دراسة عن هذا الموضوع دون ذكر اسمه والاعتماد على مقترحاته.

المراجع:

النورسي، بديع الزمان سعيد، 1992، المكتوبات، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، القاهرة.

النورسي، بديع الزمان سعيد، 1993، اللمعات، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، استانبول.

النورسي، بديع الزمان سعيد، 1995،صيقل الاسلام، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، القاهرة.

النورسي، بديع الزمان سعيد، 1992، الكلمات، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، القاهرة.

النورسي، بديع الزمان سعيد، 1999، إشارات الإعجاز، تحقيق: إحسان قاسم الصالحي، استانبول.

Vahide, Şükran, 1992, *Bediuzzaman Said Nursi*, Istanbul: Sözler Publications.

Nursî, Bediüzzaman Said, 1977, Münâzarat, Istanbul: Sözler Yayinevi.

الهوامش

1 النورسي/اللمعات، ص. 229

2 النورسي/إشارات الإعجاز، ص.59.

3 النورسي/إشارات الإعجاز، ص.59.

4 النورسي/اللمعات، ص.229

5 النورسي/ إشارات الإعجاز، ص.51

6 النورسي/اللمعات، ص. 178.

7 Vahide، ص.354

8 النورسي/إشارات الإعجاز، ص.49.

9 لمعات 238

10 النورسي/المناظرات.

11 النورسي/اللمعات، ص. 178.